

الألقاب عند العرب والمسلمين

الشيخ طه الوبي «بيروت»

في لغتهم الرجل الذي يفرق بين الحق والباطل . وكان عثمان بن عفان يعرف «بذي النورين» لرواجه من اثنين من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد اطلق على علي بن أبي طالب الخليفة الرابع بعد وفاته لقب «أبي تراب» هذا اللقب الذي قال قوم بأنه من صنع خصومه الأمويين لنزبه وتحقير شأنه بنسبته إلى التراب كما قال قوم آخرون بأنه من صنع شيعته الذين أرادوا به التمجيد من تواضعه وكثرة التصاق جبهته بالتراب للازمته الصلاة أثناء الليل وأطراف النهار . ولعانا نستطيع أن نعتبر كلمة «صحابي» من الكلمات التي أصبحت لقباً على كل رجل أدرك النبي صلى الله عليه وسلم واجتمع إليه وآمن به كما نستطيع أن نعتبر كذلك كلمة «تابعي» من الكلمات التي أصبحت لقباً على كل رجل أدرك ، وهو مسلم ، واحداً أو أكثر من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع إليه .

ولكي لا نقف طويلاً عند عصر الرسالة النبوية والسنوات القليلة الأولى التي تلتها فإننا نأتي إلى العصر الأموي الذي اختلف المؤرخون فيما نسب إلى أركانه من الألقاب . فذهب قوم إلى أن الخلائف من بني أمية اتخذوا لأنفسهم القابا . بينما ذهب قوم آخرون إلى أن هؤلاء الخلفاء عرفوا بأسمائهم من غير القاب أضيفت إليها أو حلت محلها . وفي هذا يقول المسعودي في كتابه «الإشراف والتنبية» :

إذا أردنا أن نتحدث عن الألقاب عند العرب والمسلمين ، فليس لنا بد من طي السنين بله القرون والمودة بأذهاننا إلى صدر الإسلام إذ نجد بين المؤرخين من يقول بأن الألقاب عرفت سبيلها إلى العرب منذ هاتيك الأيام . وبالفعل فإننا نعرف أن أول لقب اطلق بين يدي الإسلام كان ذلك الذي اطلقته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم قبيل بعثته وهو «الأميين» فلما كانت البعثة أصبح لقبه عليه السلام : «رسول الله» وبهذا اللقب كان يخاطب الناس ويكتب رؤساء القبائل العربية وملوك الدول الأجنبية . وكانت كلمة «رسول الله» منقوشة على خاتمه الشريف الذي استعمله هو بنفسه كما استعمله من بعده ثلاثة من خلفائه الراشدين وهم أبو بكر وعمر وعثمان ، وفي عهد هذا الأخير سقط هذا الخاتم في يثر أريس وفقد منذ ذلك الحين كما هو معروف في التاريخ .

ثم إن كبار الصحابة رضي الله عنهم عرفوا كذلك القابا رافقت أسماءهم بل هي حلت محل هذه الأسماء في بعض الأحيان حتى أن بعض هؤلاء الصحابة عرفوا بالقابهم دون اسمائهم لدى المؤرخين فيما بعد ، وكان عبد الله بن أبي قحافة أبو بكر الخليفة الأول يعرف باسم «الصديق» الذي لقبه به النبي صلى الله عليه وسلم . وكان عمر بن الخطاب الذي تولى الأمر من بعده يعرف «بالفاروق» الذي قيل إن قوماً من السريان أطلقوه عليه لأن معناه

« وقد رأينا بعض المتأخرين من ينحرف عن الهاشميين ، الطالبيين منهم والعباسيين ، ويتحيز الى الامويين ويقول باماتهم ، يذكر انه كانت لمن ملك من بني امية القاب كلقاب خلفاء العباسيين وذكر في ذلك روايتين :

احدهما : قال ، روى محمد بن عبد الله بن محمد القرشي ، قال حدثنا مصعب بن عبد الله عن ابيه عن جده ، قال ، حدثني سابق موسى عبد الملك بن مروان قال : « سمعت امير المؤمنين عبد الملك يقول : « تلقب امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان ، « بالناصر لعق الله » ويزيد بن ابي سفيان « بالمنتصر على الربيع » ومعاوية بن يزيد « بالراجع الى الله » ومروان بالمؤمن بالله » .

وبالثانية قال حدثنا ابو مطرف عن ابيه عن جده قال : تلقب عبد الملك « بالمؤثر لامر الله » والوليد بن عبد الملك « بالمنتقم لله » وسليمان بن عبد الملك « بالمهدي » لما احدث من قطع ما كان على المنبر ، وهده الى عمر بن عبد العزيز وتلقب هو « بالدامي بصنع الله » وسمي هشام بن عبد الملك « بالنصور » فلم يزل على ذلك حتى عهد ابيه يزيد فلقب بالتخير من مال الله . وتلقب الوليد بن يزيد « بالمكتفي بالله » ويزيد بن الوليد « بالشاكر لانعم الله » وابراهيم بن الوليد « بالتمزز بالله » ومروان بن محمد بالقائم بحق الله . وكان عبد العزيز بن مروان ، وكان ولي العهد ، يدعى على المنابر « بالعظيم لحرمت الله » وكان مسلمة بن عبد الملك لما بنى مدينة على خليج القسطنطينية سماها « مدينة القهر » وتسمى هو « بالقاهر بعون الله » .

على ان السعدي لم يكن مقتنعا بما نقل عن تنقيب ملوك بني امية فاردف قائلا على ما تقدم : ... ان الكافة على خلافه . فلو كان الامر على ما ذكر ، لظهر واشتهر واستفاض وجاء في الاخبار المتقولة القاطعة والاعمال المروثة . فلما لم يذكره الجمهور من حملة ونقل السير والانوار ولا دونه مصنفو الكتب في التواريخ والسير . من ذكر اخبارهم ووصف ايامهم من تولاهم او انحرف عنهم ، علم ان ذلك لا اصل له .. »

على انه ما ان ادبرت ايام الامويين واقبلت ايام العباسيين حتى اصبح لكل من هؤلاء الاخيرين لقب يرافق اسمه الى جانب « امير المؤمنين » واول من

تلقب منهم كان اول خلافتهم : ابو العباس المعروف « بالسفاح » واختلف الناس في تفسير هذا اللقب ، فقالت طائفة بان الرجل تنقب بالسفاح لكثرة ما سفح من الاموال في التمهيد لوثوبه بالدولة الاموية واحتلال مكانها في السلطان والحكم . كما قالت طائفة ثانية ان هذا اللقب التصق باسم اول خليفة عباسي بعد ان اكثر هذا من وضع السيف في اعيان بني امية سافحا دماهم في سبيل تائيل ملك قومه بعد اجتنات كل اثر لاي اموي تتوهم قدرته على الثورة او التفكير في العودة الى دست الولاية .

وبقي بنو العباس على ما ابتدوا به من اعتماد الالتاق للخلفاء الى جانب اسمائهم الاصيلية الى اخر عهدهم بالخلافة حين انتقل السلطان سليم العثماني بالتوكل على الله اخر الخلفاء العباسيين ، من مصر الى اسطنبول واضعاً بذلك حدا للعباسيين وانصارهم من سلاطين المالك في مصر والشام والعراق وباتي الجزيرة العربية . وهكذا كان اول القاب العباسيين : السفاح ، واورها : المتوكل على الله .

ففي اليوم الثامن من شهر محرم الحرام 923 هجرية (1517 م) دخل الاتراك العثمانيون مدينة القاهرة واصبح سلطان اسطنبول سيد الشرق العربي بلا منازع وافلت دولة المالك بغير رجعة . وفي ذلك يقول محمد فريد في كتابه « تاريخ الدولة العلية العثمانية » : « ومما جعل لفتح وادي النيل اهمية تاريخية عظيمة ان اخر ذرية الدولة العباسية الذي حضر اجداده لمصر بعد سقوط بغداد مقرر خلافة بني العباس في قبضة هولاء كان التتري سنة 656 هـ (1091 م) وكانت له الخلافة بمصر اسما ، تنازل من حقه في الخلافة الاسلامية الى السلطان سليم العثماني وسلمه الانار النبوية الشريفة وهي البيروق والسيف والبردة وسلمه ايضا مفاتيح الحرمين الشريفين ، ومن ذلك التاريخ صار كل سلطان عثماني « اميرا للمؤمنين » و « خليفة لرسول رب العالمين » اسما وفلا . « ا . هـ .

غير اننا نجد في كلام محمد فريد عن انتقال لقب « امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين » الى السلطان سليم العثماني وزواله عن المتوكل على الله العباسي ، مجرد استنتاج لا تدعمه الوثائق التاريخية لاسيما تلك التي كتبت من قبل المؤرخين الذين عاصروا تلك الفترة ودونوا وقائعها وتفاسيلها ، دون ان يدعوا من هذه الوقائع والتفاصيل لا شاردة

ولا واردة امثال ابن اياس الذي قال في كتابه «بدائع الزهور في وقائع الدهور» وهو من ادق ما كتب في هذا الموضوع . قال هذا المؤرخ وهو شاهد ميان :

« .. وفي يوم الجمعة سلخ سنة اثنتين وعشرين وتسمائة .. خطب باسم السلطان سليم شاه على منابر مصر والقاهرة ، وقد ترجم له بعض الخطباء فقال : « .. وانصر اللهم السلطان ابن السلطان ، مالك البرين والبحرين ، وكاسر الجيشين وسلطان العراقين وخدام الحرمين الشريفين ، الملك المظفر سليم شاه . اللهم انصره نصرا عزيزا وافتح له فتحا مبينا ، يا مالك الدنيا والاخرة يا رب العالمين » .

وفي حوادث سنة 923 هجرية قال ابن اياس : « .. وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر جمادى الاولى خرج امير المؤمنين المتوكل على الله قاصدا للسفر الى اسطنبول ، وخرج صحبته اولاد ابن عمه خليل وهما ابو بكر واحمد ، وخرج صحبته الناصري محمد بن الملاي علي بن خاص بك صهر الخليفة .. وءآخرون من الايمان ، فتوجهوا الى بولاق ونزلوا من هناك في المراكب ليتوجهوا الى نهر رشيد . فحصل للناس على نقد امير المؤمنين من مصر فاية الاسف وقالوا : لقد انقطعت الخلافة من مصر وصارت في اسطنبول ، وهذه من الحوادث المهولة .. الخ » .

يتبين من هذا النص ان السلطان العثماني لم يجرد المتوكل على الله من لقب الخلافة وينتقله لنفسه وان الناس لم يقولوا يومئذ بان الخلافة انتقلت من بني العباس الى بني عثمان ، بل كل ما حصل هو ان السلطان التركي المنتصر اراد ان يفرض الائمة الجبرية على الخليفة العباسي في اسطنبول كيلا يشكل بقاءه في القاهرة سببا لاثارة الناس الى خلق المتاعب في وجه المهد الجديد ، وربما لتصبح اسطنبول مقرا رسميا للخلافة .

غير انه مما لا شك فيه ، ان المتوكل على الله كان ءآخر من حمل لقبى « الخليفة و امير المؤمنين » من العباسيين وان هذين اللقبين بقيا شاغرين لم يحملهما احد من ملوك بني عثمان الا ابتداء من السلطان محمود الثاني ، فان هذا السلطان وجد ملكه يضطرب تحت وطأة ثورات داخلية اضرم نيرانها بعض حكام العرب المسلمين تحت شعارات اسلامية فما كان منه الا ان واجه هذه الشعارات بالانتحاء الى

لقب الخلافة العظمى كي يفسد على الثالسين به خطتهم الدينية ويتقوى عليهم باللقب الذي كان ءاباؤه واجداده بغير حاجة اليه لتمكنهم من اسباب الغلبة والقوة العسكرية بحيث لم يكن لقب الخلافة عنصرا مؤثرا في هذه الاسباب من قريب او بعيد .

اما عندما كانت السلطة العثمانية في اوج مجدها فان لقب ، او بالاصح ، القاب ملوكها كانت كما نقلها فيما يلي من مقدمة الرسالة الجوية التي ارسلها السلطان سليمان القانوني الى فرانسوا الاول ملك فرنسا الذي استنجد به على حماية مملكته من عدوه شارل كان ملك اسبانيا وذلك في سنة 922 هجرية (1526 م) :

« الله العلي ، المغني ، المعطي ، الممين :

بمنابة حضرة عزت الله جلت قدرته وملت كلمته ، وبمعجزات سيد زمرة الانبياء وقدة فرقة الاصفياء محمد صلى الله عليه وسلم الكثيرة البركات ، وبمؤازرة قدس ارواح حماية الاربعة ابي بكر وعمر وعثمان وهابي رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وجميع اولياء الله ،

انا ، سلطان السلاطين وبرهان الخوالمين متوج الملوك ، ظل الله في الارض ، سلطان البحر الابيض والبحر والاسود ، والاناضول ، والروملي ، وقرمان الروم ، وولاية ذي القدرية ، وديار بكر وكردستان واذريجان والمعجم والشام ، وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس وجميع ديار العرب واليمن ، وممالك كثيرة فتحها ايضا ءابائي الكرام واجدادني العظام ، بقوتهم القاهرة اثار الله براهينهم ، وبلادا اخرى كثيرة افتحتها يد جلالتي بسيف الظفر ، انا السلطان سليمان خان ، ابن السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان ، .. الى فرنسيس ملك « ولاية » فرنسا .. وصل الى اعتساب ملجأ السلاطين المكتوب الذي ارسلتموه مع تابعكم فرائقيان النشيط .. الخ .. »

اما بعد ان هزمت الدولة العثمانية وتقطعت منها الاوصال بانفصال ما كان تابعا لها من الولايات الاوروبية واحتلال الاجانب لكثير من ولاياتها العربية في اسيا وافريقيا . بعد ان ءال امر هذه الامبراطورية الى هذه النهاية المحزنة فقد اصبح لقب السلطان العثماني في ايام المغفور له ساكن الجنان عبد الحميد الثاني ، « السلطان العظيم والخالفان الاعظم » امير

المؤمنين وخليفة المسلمين ومولانا السلطان ابن السلطان
الغازي عبد الحميد خان .»

حتى اذا استمر دولاب مرز العثمانيين في
تقهقره الى الوراة اخذت المدارس الحكومية في عهد
السلطان محمد رشاد الملقب بالخامس تلمم طلابها
لقب العاهل التركي كما يلي :

« جناب رب ، منان ، باديشاه ، خاقان البرين
والبحرين وخدام الحرمين الشريفين ، ولي نعمت
بي منت ، امير المؤمنين ، محمد رشاد افنديمير ،
حظرتلري .. »

وبآخر من حمل لقب « امير المؤمنين الخليفة
الاعظم » من ملوك بني عثمان ، كان السلطان محمد
وحيد الدين الملقب بمحمد السادس الذي اقاله مصطفى
كمال باشا من السلطنة ثم من الخلافة سنة 1923
ميلادية وبانتهاء السلطنة والخلافة من بني عثمان
اصبح لقب « امير المؤمنين والخليفة الاعظم » .. في
ذمة التاريخ على الرغم من المحاولة التي قام بها
الشريف حسين بن علي ملك الحجاز في بلدة
الشويك الاردنية حينما استدعى اليه بعض اميان
البلاد لمبايعته « خليفة للمسلمين واميرا للمؤمنين » .
وهي محاولة لم يخلدها احد في ذلك الحين على
محمل الجدد وسرعان ما تجاهلها المسلمون حينما
تناقلت اسلاك البرق الانذار الذي وجهته الحكومة
الانجليزية سنة 1922 الى حليفها بالامس القريب
الذي طمع في الحنول محل سلاطين بني عثمان في
حمل لقب « امارة المؤمنين وخلافة رسول رب
العالمين » .. وهي البرقية التي تقول للحسين بن علي
شريف مكة وسليل اشرفها :

« ان حكومة بريطانيا تصر بالحاح على وجوب
مفادرتكم العتبة ، ولا يمكنها ان تسمح لكم بالبقاء اكثر
من ثلاثة اسابيع »

ومن العتبة الى قبرس ، ففي هذه الجزيرة
كان واخر المطاف باللاهث وراه لقب « امير المؤمنين
وخليفة رسول رب العالمين » وكان ذلك في سنة
1924 ميلادية .

ومنذ ذلك الحين .. لم يعد احد يحمل اعظم
الانقلاب الاسلامية : امير المؤمنين وخليفة رسول رب
العالمين ، بوصفه اعلى مرجع اسلامي في العالم .
وان كان ما يزال في بعض الاقطار العربية من يدعي

الى الان بلقب امير المؤمنين . كما هي الحال في
بلاد المملكة المغربية حيث لقب الملك فيها : امير
المؤمنين . وكما هو الحال في المملكة المتوكلية
اليمنية حيث بلقب امامها بامير المؤمنين . وكما هو
الحال كذلك في بعض الجماعات الدينية المنتشرة في
جنوب الجزيرة العربية حيث توجد بقايا الخوارج من
الطائفة الاباضية ببلاد عمان التي ما تزال تدعو امامها
بلقب امير المؤمنين .

وليس من شك في ان هذه البلدان وما فيها
من فرق وطوائف ، حيث تلقب عاهلها او رئيسها
بامير المؤمنين فانما تعني في الواقع انه « امير
المؤمنين الخاضعين بالفعل لسلطته السياسية في
حدود بلاده الجغرافية » . ومن الطبيعي انه لا يخطر
ببال احد ان هذا اللقب ينسحب في ايماننا على المعنى
الذي كان يحمله صاحب الخلافة العظمى الذي كان ،
ولو شكليا ، المرجع الاعلى لجميع المسلمين في العالم
على اختلاف بلدانهم وطوائفهم .

وها نحن الان ، ننتقل من لقب رئيس الدولة
في الاسلام الى بيان لقب الشخص الذي كان يليه في
حمل تسمات الادارة والاضطلاع بمسؤولية الحكم ،
وهو الشخص الذي تواضع الناس من اهل زماننا على
تسميته برئيس الحكومة او رئيس الوزارة .

قال القلقشندي : « كانوا في اوائل امر الخلافة
يمرون منه بالكاتب ، لا يعرفون غير ذلك كما اشار
اليه القضاعي في « عيون الاخبار » فلما جاءت الدولة
المباسبية ولقب ابو العباس اول خلفائهم كاتبه ابا
سلمة الخلال « بالوزير » استقر لقب الوزارة من
حينئذ ورفض التلقب بالكاتب » .

ولقد استعملت كلمة « الوزير » مستقلة ،
للدلالة على الرجل الذي يختاره الخليفة لمعاونته في
تحريك اطارات الدولة وتهيئة اجهزة الحكم
وعناصره . على ان كلمة « الوزير » لم تبق منفردة
لوحدها مدة طويلة ، اذ ان الشعراء ، ما لبسوا ان
اضافوا اليها لقباً يتقدمها ، زيادة في تعظيم حاملها ،
واشعارا للناس من خاصة او عامة ، بسمو المهمة
التي يمارسها . فقد نقل الراهب الاصفهاني في
محاضراته ان الشاعر جحظة البرمكي توجه الى
الوزير الذي كان في ايامه بقوله :

قل لوزير ادام الله « دولته »

اذكر منادمتي والخبر خشكار

اذ ليس في الباب بواب «لدولتكم»
ولا حمار ولا في الشط طيسار

**فانصاف الشاعسر لقب «الدولة» الى لقب
(الوزير) فاصبح كلا اللقبين متلازمين لا يكاد ينفرق
احدهما عن الآخر منذ ذلك الحين الى ايامنا هذه ،
رغم جميع القرارات « الثورية » التي صدرت في
المهود الاخيرة ، بالفاء الالقاب وعدم استعمالها ،
لاسيما في المكاتب الرسمية .**

ثم ما لبث لقب الوزير ان اضيف اليه فيما بعد
لقب اخر ، فكان ابو سلمة الخلال وزير السفاح
يعرف بلقب « وزير مال محمد » ولما ولي المهدي ابن
ابي جعفر المنصور مدة الخلافة، لقب وزيره يعقوب بن
داوود بن طهماز « الاخ في الله » ، والمأمون بن
هرون الرشيد لقب وزيره الفضل بن سهل حين
استوزره « بلدي الكفائيين » كما لقب اخوه الامين
وزيره الحسن بن سهل « بلدي الرياستين » .

وان ارباب السيوف من امراء الدولة العباسية
وكبار ممالها ، اصابهم ما اصاب غيرهم من المدنيين في
الادارة . فكان لقب ابي مسلم الخراساني « امير مال
محمد » وقيل (سياف مال محمد) ولقب ابو الطيب
طاهر بن محمد « ذا اليمينين » ولقب الخليفة المعتمد
قائد مسكره حيدر بن طاووس «بالافشين» من حيث
انه اشروسني والافشين لقب على ملك اشروسنة .»

والى جانب لقب دولة الوزير الذي كان يقال
لمساعد الخليفة في نفس عاصمة ملكه فلقد عرف
المعهد العباسي لقباً اخر استحدث فيما بعد لاطلاقه
على ممثل الخليفة ، نفسه في البلدان التي كانت
خاضعة لسلطانه . ذلكم هو لقب « الاستاذ »
واستاذ ، كلمة فارسية الارومة ، وكانت تكتب
« اوستاد » ومعناها بلغة الفرس «معلم او سيد»
وعن الفرس اخذها العرب بعد ان كثر بين الامتين
التداخل والاختلاط بعد الاسلام .

واول ما استعمل لقب « استاذ » كان في المعهد
العباسي وذلك حين اطلق على نائب الخليفة في الديار
المصرية والبلاد الشامية ابي المسك كافور بن عبد الله
الاخشبيدي ، الذي عرف باسم الاستاذ كافور
الاخشبيدي . وهو الخصي الاسود الذي اشتراه
سيده ابو بكر محمد الاخشيدي بشمانية عشر ديناراً
ورباه واعتقه قبل ان اصبح الحاكم المطلق باسم

الخليفة على مصر والشام وما اليهما من نفوذ وبلاد.
والاستاذ كافور هذا هو الذي بالغ في مدحه المتنبئ
عندما كان طامعا في بره وصلته ثم عاد فسلطه
بأهاجيه المقدمة عندما وجد ان طمعه فيه كان في غير
محلّه .

وقد استعملت كلمة «استاذ» في اوساط
النحاسيين الذين كانوا يتعاطون تجارة الرقيق فكانت
تداولها الالسة في هذه الاوساط للاشارة الى مالك
رقبة المملوك فكانوا يقولون: فلان استاذ المملوك الفلاني
اي صاحبه ومالك رقبته بالرق ، ثم ما لبثت كلمة
استاذ ان تطورت في العهد العثماني لاسيما في الهزيع
الاخير من ايامه ، كما تطورت طريقة التلفظ بها .
فلقد تحولت كلمة استاذ الى كلمة «لاوسطا» او
«لاسطه» وبهذا الشكل الاخير ما زالت تلفظ
في ايامنا . وقد اصبح لقب استاذ يطلق على ارباب
الصنائع واصحاب الحرف اليدوية منهم على
الاغلب . والمعاصرون من اهل مصر كثيرا ما يستعملون
كلمة « اوسطا » بقصد المناذاة على الشخص الذي
يجهلون اسمه ، وتقابلها في بلاد الشام سورية
وفلسطين ولبنان ، كلمة « معلم » والفرض والمعنى،
هنا وهناك واحد كما هو معروف .

على انه لا بد من القول ، بان كلمة استاذ قد
تشعبت فيها اساليب الاستعمال في ايامنا حتى انها
كثيرا ما غدت تطلق على الشخص العادي من الناس،
ولو كان من سوقة القوم وصعاليكهم او حتى اراذلهم،
كما انها تطلق كذلك على واحد من اثنين من ارباب
السن الفكرية . المحامي الذي يتوكل للترافع عن
اصحاب القضايا المدنية ومعلم المدرسة مهما كانت
درجته من الثقافة او رتبته من الوظيفة .

وعلى الجملة فان كلمة «استاذ» هي اليوم
« عمومية » الاستعمال بدون ضابط ولا ميزان ، من
اي انسان لاي انسان .

ونعود الى القاب حكم الولايات والاطراف في
الدولة العباسية ، فنقول : انه عندما تراخت قبضة
السلطة المركزية التي كانت تمارسها بغداد في علاقاتها
مع ممالها في الولايات والاطراف التابعة لها ،
واستشرى نفوذ هؤلاء العمال واصبحوا يتسامون الى
الانفراد بالسلطة في مناطقهم ، عندما اصبح الامر
كذلك نزع منهم الى مشاركة الخليفة بمظاهر المسك
من مراسيم والقاب حتى اصبح الخليفة يجد نفسه

وقد اصبح شبه مجرد من كل حول ومن كل طول ، ان ينزل عند رغبات هؤلاء الموظفين الكبار في دولته ، وان يلبي رغباتهم ويحقق مطالبهم وان يمنحهم من الالقاب السلطانية ما يتطلعون اليه راغبا ام كارها على حد سواء .

ويصف لنا ابن مسكويه في كتابه « تجارب الامم » حالة الخلافة في تلك الايام حين لم يبق للخليفة من اثار السلطان الا نقش اسمه على السكة والدعاء له فوق احواد المنابر ، لا اكثر ولا اقل ، فيروي لنا هذا المؤرخ عن المطيع لله العباسي (سنة 361 هـ) انه لما سأل بختيار تزويده بالمال لاجل الغزو والجهاد ، اجابه الخليفة على طلبه بقوله :

« ان الغزو يلزمني اذا كانت الدنيا في يدي ، والي تدبير الاموال والرجال ، واما الآن ، وليس لي منها الا القوت القاصر من كفائي ، وهي في ايديكم وايدي اصحاب الاطراف ، فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء ، مما تنظر الائمة فيه ، وانما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به على منابركم ، تسكتون به وعيائكم ، فان احببتم ان اهتزل ، اهتزلت من هذا المقدار ايضا ، وتركتكم والامر كله ! ... »

وهكذا ، لما اصبح لقب الخلافة في مثل هذا التفاهت والوهن ، وعدم النفوذ وقلة الجدوى ، اذا بالقب الحکم والسلطان تأخذ سبيلها الى اولئك العمال الذين هم من حيث المبدأ والوضع القانوني مجرد موظفين لدى الخليفة خاضعين لولايته في التعيين والاعزل والسلطة والصلاحيه .

ويقال ان اول من اتخذ الالقاب لنفسه من هؤلاء الموظفين هو الحسين بن قاسم بن عبد الله الذي لقبه الخليفة المكتفي « بولي الدولة » فكان هذا الامير اول من لقب بالاصالة الى الدولة في الاسلام

ثم وافت الدلالة لال بويه الديلم ، فسمى الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي « بركن الدولة » وهو الذي كان صاحب اصهبان والسري وهمدان ، وجميع عراق المعجم ، واستمر في الملك اربعا واربعين سنة وشهرا وتسعة ايام ، ونحا نحوه في اتخاذ الالقاب ابناؤه الذين نسم عليهم الممالك التي كانت تحت يده اثناء حياته فتلقب بغير الدولة ، حتى ان اولهم فناخسرو اضاف الى لقبه عضد الدولة لقبيا ثانيا طلبه من الخليفة الطائع لله ، وهو « تاج الملة » ثم انه لم يكتف بهذين اللقبين الساميين ،

وتطلع الى لقب ثالث ، يجعله فوق جميع اصحاب الالقاب من امثاله الماصرين له ، فتلقب بشاهنشاه (اي ملك الملوك) وامر خطباء المساجد ان يشركوه بالدعاء الى جانب الخليفة نفسه بهذا اللقب الاخير وهذا اللقب الذي كان الفقهاء يمانعون في اطلاقه على اي انسان ، مهما سما مركزه وقويت شوكته ، لما فيه من المعاني التي لا يجوز ان تقال الا لله عز وجل الذي هو جلت قدرته ، ملك الملوك وحده دون سائر خلقه من بني الانسان .

ولقد كان اطلاق اللقب على احد الحكام من قبل الخليفة ، يتم وسط مراسم حكومية تجري في غاية الابهة والفخامة ، فلقد حكى صاحب تاريخ الاسلام في اثناء الكلام من تلقيب عضد الدولة الذي اشرفنا اليه من قبل ، بتاج الملة :

ان الخليفة ، الطائع لله ، جلس في هذه المناسبة على السرير ، وحوله مائة بالسيوف والزينة ، وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة ويده القضيب ، وهو متقلد سيف النبي صلي الله عليه وسلم ، وضربت ستارة بعضها عضد الدولة ، وساله ان تكون حجابا للطائع حتى لا تقع عليه عين احد من الجند قبله . ودخل الاتراك والديلم وليس مع احد منهم حديد .. ووقف الاشراف واصحاب المراتب من الجانبين ، ثم اذن لعضد الدولة ثم رفعت الستارة . فقبل عضد الدولة الارض ، فارتاح زياد القائد لذلك وقال ، بالفارسية : « ما هذا ايها الملك ، اهذا هو الله عز وجل ! » فالتفت اليه عبد العزيز ابن يوسف وقال له : « ففهمه » فقال له : « هذا خليفة الله في الارض » ثم استمر (اي عضد الدولة) يقبل الارض سبع مرات ، فالتفت الطائع الى خالص ، الخادم ، فقال : استدنه فصعد عضد الدولة ، فقبل الارض دفعتين ، فقال له ادن الي ، الى ان دنا وقبل رجله ، وثنى الطائع بيمينه عليه ، وامره فجلس على كرسي بعد ان كثر عليه « اجلس » وهو يستعفي ، فقال له ، اقم لتجلس ، فقال : عندي معلوم ، فقال ، نيتك موثوق بها ، وعقيدتك مسكون اليها ، فاوما براسه . ثم قال له الطائع : قد رايت ان افوض اليك ما وكل الله الي من امور الرعية في شرق الارض وغربها وتديرها في جميع جهاتها سوى خاصتي واسبابي . فتول ذلك مستخيرا بالله ، قال عضد الدولة يعينني الله على طاعة مولانا وخدمته ، واريد وجوه القواد ان يسموا لفظ امير المؤمنين ، فقال

الله ، وانهاك عما نهاك عنه ، وإبراء الى الله مما سوى ذلك، انهض على اسم الله . »

ثم اخذ الطائع سيفا كان بين المخذتين فقلده به مضافا الى السيف الذي قلده مع الخلعة ، وخرج من باب الخاصة ، وسار في البلاد . . . »

والجدير بالذكر ، أن حكام الديلم من بني بويه المذكورين ، كانوا قدوة في هذا الباب ، لمن جاء بعدهم من أرباب الحكم في ولايات الإمبراطورية الإسلامية المباسية ، خارج بغداد ، فكثرت الاسماء التي التصقت بها الالقاب من مثل **صمصام الدولة** ، و**غضنفر الدولة** ، و**شرف الدولة** وما شابه ذلك .

الطائع : هاتوا الحسين بن موسى ، ومحمد بن عمر وابن معروف ، وابن أم شيبان ، والزينبي ، فقدموا . فأعاد الطائع لله القول بالتفويض ثم التفت الى طريف الخادم ، فقال ، يا طريف ، تفاض عليه الخلع ويتوج فنهض الى الرواق ، وألبس الخلع-وخرج فأومأ يقبل الارض ، فلم يطلق لكثرة ما عليه ، فقال له الطائع : حسبك ، حسبك ، وأمره بالجلوس ، ثم استلمى الطائع تقديم الويته ، فقدم لواوين واستخار الله ، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعقدتهما ثم قال : يقرأ كتابه فقريء فقال له الطائع : « خار الله لك ولنا وللمسلمين ، أمرك بما أمرك

